

خطبة الجمعة القادمة ٢٦ سبتمبر ٢٠٢٥م، الموافق ٤ ربيع الآخر ١٤٤٧ هـ

تحت عنوان : "اليقين"

إعداد فضيلة الشيخ/ احمد إسماعيل الفشنبي

الخطبة الأولى

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِالْإِيمَانِ وَزَيَّنَ قُلُوبَنَا بِالْيَقِينِ. نَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيْبًا مُبَارَكًا فِيهِ، حَمْدَ الشَّاكِرِينَ الْذَّاكِرِينَ. وَنَشْهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً مُؤْمِنٍ مُوقِنٍ بِوَحْدَانِيَّتِهِ وَجَلَالِهِ. وَنَشْهُدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَحْبِيبَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الَّذِي بَلَغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَى الْأَمَانَةَ، وَنَصَحَّ الْأُمَّةَ، وَكَشَفَ اللَّهُ بِهِ الْغُمَّةَ. اللَّهُمَّ صَلِّ وَسِلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ وَاهْتَدَى بِهَدْيِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ، أُوصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، فَإِنَّ تَقْوَاهُ عِصْمَةُ، وَطَاعَتُهُ فَوْزُ وَسَعَادَةُ.

أَيُّهَا السَّادَةُ الْكَرَامُ :

في هذا اليوم المبارك، نقف لنتأمل في قضية ليست فكرية فقط، بل هي قضية قلبية روحية. إنَّه الحديث عن "اليقين"، ودوره الحيوي في مواجهة ما يسمى بـ "اللحاد". لقد دعانا وزارة الأوقاف الكريمة إلى هذا الموضوع، لتصحيح المفاهيم، ونكشف الغمَّةَ، ونقدم للحائرين درع الإيمان وسلام اليقين.

العنصر الأول: اليقين... مفتاح الفوز والعصمة

أَيُّهَا السَّادَةُ الْكَرَامُ

ما اليقين؟ اليقين ليس مجرد علم بان الله موجود، وليس فقط تصديقًا بان محمدًا رسول الله. بل اليقين هو روح الإيمان، وقوة القلب، هو أن تستقر الحقيقة الإيمانية في القلب، حتى تتحول إلى حالة نفسية تربط صاحبها بالله ربها لا انفصام له. إنه الإيمان الذي لا تهزمه الشبهات، ولا تخضعه الشهوات، ولا تحده الظروف الصعبة.

ولقد وصف الله تعالى المؤمنين بأنهم: «وبالآخرة هم يوقنون» [آل عمران: 4]. لم يقلن يومئذ، بل "يوقنون"، لأن يقينهم بالآخرة جعلهم يعيشون لها، ويعملون من أجلها، ويرون بنور الإيمان ما لا تراه العيون.

تأملوا معي في مشاهد من اليقين الخالد في قلوب السلف:

* هذا سيدنا أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، في قصة الهجرة. لما كان مع سيدنا النبى صلى الله عليه وسلم في غار ثور، والمشركون يبحثون عنهم بكل ما أوتوا من قوة، وسمع سيدنا أبو بكر خطواتهم فوق الغار، وكانت لحظة رعب وترقب، قال سيدنا للنبي: "يا رسول الله، لو أن أحداً منهم نظر تحت قدميه لأبصرنا". فماذا كان رد سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال بكل ثقة وهدوء: "ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟". هذا اليقين، الذي جعل سيدنا النبي يرى معية الله في أشد الظروف، وجعل سيدنا أبو بكر يطمئن بهذه الكلمة، فلم يخافوا، ولم يفرعوا.

* وهذا الخليفة العادل سيدنا عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، لما ذهب ليسلم مفاتيح بيت المقدس، لم يجيء بموكب عظيم، بل جاء على ناقة واحدة يتراوب عليهما هو وغلامه. ولما دخل المدينة المقدسة، كان الغلام راكبا وهو ماش في الطريق. فتعجب أهل البلد، وقالوا: "يا أمير المؤمنين، لو أنك لبست ثياباً أجمل من هذه؟" فقال كلامه التي خلدت: "تحن قوم أعرنا الله بالإسلام، ومهما ابتغينا العزة في غيره، أذلنا الله". هذا هو اليقين القاطع بان العزة لله ورسوله والمؤمنين.

* وَهَذَا سَيِّدُنَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، سَيِّفُ اللَّهِ الْمَسْلُولُ، فِي أَحَدِ الْمَعَارِكِ، شَرِبَ سُمًا قَاتِلًا أَمَامَ أَعْدَائِهِ، وَقَالَ: "بِسْمِ اللَّهِ وَبِهِ أَجَاهُدُ". فَمَا ضَرَرَ شَيْءٌ. أَيُّ يَقِينٍ هَذَا؟! إِنَّهُ الْيَقِينُ بِأَنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا بِيَدِ اللَّهِ، وَأَنَّ الْمَوْتَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِأَمْرِهِ.
الْعَنْصُرُ الثَّانِي: جُذُورُ الْإِلْحَادِ وَمُشْكِلَاتُهُ

أَيُّهَا السَّادَةُ الْكَرَامُ

الْإِلْحَادُ لَيْسَ ظَاهِرًا جَدِيدًا، وَلَكِنَّهُ الْيَوْمَ يَتَسَرَّبُ إِلَى عُقولِ الشَّبَابِ مِنْ خَلَالِ وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ وَالْإِعْلَامِ. وَيُخَطِّئُ مَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ نَتْيَاجَةُ لِعِلْمٍ أَوْ مَعْرِفَةٍ، بَلْ هُوَ يَنْبُغُ مِنْ مُشْكِلَاتِ عِدَّةٍ:

* الْفَرَاغُ الرُّوحِيُّ: الْإِنْسَانُ بِطَبِيعَتِهِ يَشْعُرُ بِالْفَرَاغِ إِذَا ابْتَعَدَ عَنِ اللَّهِ. فَالْقَلْبُ لَا يَطْمَئِنُ إِلَّا بِذِكْرِ خَالِقِهِ. وَالْإِلْحَادُ لَا يُقْدِمُ أَجْرًا أَوْ غَايَةً أَوْ رَاحَةً بَالِ.

* الْمُشْكِلَاتُ النَّفْسِيَّةُ وَالإِجْتِمَاعِيَّةُ: بَعْضُ الْمُلْحِدِينَ قَدْ يَنْشَأُونَ فِي أَسْرٍ مُضْطَرَبَةٍ، أَوْ يَشْهَدُونَ تَنَاقُصًا بَيْنَ أَقْوَالِ أَهْلِ الدِّينِ وَأَفْعَالِهِمْ. فَيَظُنُّونَ أَنَّ الدِّينَ هُوَ السَّبَبُ فِي هَذَا الشَّتَّاتِ، فَيَتَمَرَّدُونَ عَلَيْهِ.

* الشُّبُهَاتُ الْفِكْرِيَّةُ: الْإِلْحَادُ الْيَوْمَ يَتَحَفَّى خَلْفَ عِبَاءَةِ الْعِلْمِ وَالْمَنْطِقِ، فَيُثْبِرُ الشُّبُهَاتِ حَوْلَ وُجُودِ الْخَالِقِ، أَوْ حَوْلَ الْعِلْمِ وَالدِّينِ، أَوْ حَوْلَ مَفْهُومِ الْعَدْلِ وَالظُّلْمِ. وَالشَّابُ الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ يَقِينٌ وَلَا عِلْمٌ كَافٍ، يَسْهُلُ اتْزِلَاقُهُ فِي هَذِهِ الشُّبُهَاتِ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَقَّ حَمْدِهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا وَحَبِيبِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالآهُ.

أَيُّهَا السَّادَةُ الْكِرَامُ

بَعْدَ أَنْ تَعْرَفُنَا عَلَى مَرْضِ الْإِلْحَادِ وَأَسْبَابِهِ، نُقْدِمُ لَكُمُ الْعِلاجِ النَّاجِعَ، الَّذِي لَا يَجْرِي
عَلَيْهِ دَاءٌ وَلَا يَشْفِيهِ دَوَاءٌ إِلَّا هُوَ. ذَلِكَ الْعِلاجُ هُوَ الْيَقِينُ.

الْغُنْصُرُ الثَّالِثُ: الْيَقِينُ... دَوَاءٌ وَشَفَاءٌ

أَيُّهَا السَّادَةُ الْكِرَامُ

الْيَقِينُ هُوَ دِرْعُ الْمُسْلِمِ فِي وَجْهِ الشُّبُهَاتِ، وَهُوَ سَكِينَةُ قَلْبِهِ فِي وَجْهِ الْفَرَاغِ الرُّوحِيِّ.

وَلِكَيْ نُدْرِكَ قُوَّةً هَذَا الْعِلاجِ، تَأْمَلُوا قِصَصًا مِنْ حَيَاتِنَا الْمُعاَصِرَةِ:

* هَذِهِ فَتَاهَةُ غَرْبِيَّةٍ عَاشَتْ حَيَاةً لَهُوَ وَتَمَرِّدَ عَلَى الْأَخْلَاقِ، وَكَانَتْ تَعْقِدُ أَنَّ حَيَاةَهَا
فِي حُرْبِيَّةٍ مُطْلَقَةٍ. وَلَكِنَّهَا وَجَدَتْ نَفْسَهَا فِي فَرَاغٍ عَمِيقٍ، لَا مَعْنَى لِلْحَيَاةِ فِيهِ. فَفِي
لَحْظَةٍ يَأْسٍ شَدِيدٍ، رَفَعَتْ يَدَهَا وَقَالَتْ مِنْ قَلْبِهَا "يَا رَبُّ!", فَيَا لَهَا مِنْ كَلِمَةٍ صَادِقَةٍ!
وَفِي تِلْكَ الْلَّحْظَةِ شَعَرَتْ بِالسَّكِينَةِ تَنْزِلُ عَلَى قَلْبِهَا. ثُمَّ بَدَأَتْ تَقْرَأُ عَنِ الْإِسْلَامِ،
فَوَجَدَتْ فِيهِ مَا يَمْلأُ قَلْبَهَا، وَيُحِبِّ عَلَى أَسْتِلَتِهَا. لَقْدَ كَانَ الْيَقِينُ هُوَ الدَّوَاءُ الَّذِي
شَفَاعَهَا مِنْ دَاءِ الْفَرَاغِ.

* وَهَذَا شَابٌ مُلْحِدٌ كَانَ يُخَوِّفُهُ النَّاسُ مِنَ الْقُرْآنِ، وَيَقُولُونَ لَهُ إِنَّ الْقُرْآنَ يُفْقِدُ الْعُقْلَ.
وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ، أَخَذَ مُضْحِفًا لِيَقْرَأُ مِنْهُ، فَتَوَقَّعَ أَنْ يَجِدَ فِيهِ حُرَافَاتٍ وَأَسَاطِيرَ.
وَلَكِنَّهُ لَمَّا بَدَأَ الْقِرَاءَةَ، شَعَرَ بِقُوَّةِ ثُرَيْكِ قَلْبِهِ وَتُحَاطِبُ عَقْلُهُ. وَعِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى قَوْلِ
اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذَّارِيَاتُ: 21]، شَعَرَ بِأَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ
تُخَاطِبُهُ وَتَقُولُ لَهُ: "انْظُرْ فِي نَفْسِكَ، فَهَلْ خُلِقْتَ صُدْفَةً؟ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرُدَّ عَلَى هَذَا
السُّؤَالِ، وَشَعَرَ بِالْحَقِّ يَهْزُ كَيَانَهُ، فَنَطَقَ بِالشَّهَادَتَيْنِ.

الْغُنْصُرُ الرَّابِعُ: سُبْلٌ عَمَلِيَّةٌ لِتَعْزِيزِ الْيَقِينِ

أَيُّهَا السَّادَةُ الْكِرَامُ

لِكَيْ تَبْنِيَ يَقِينًا ثَابِتًا، لَا بُدَّ مِنَ الْعَمَلِ. وَهَذِهِ بَعْضُ النَّصَائِحِ الْعَمَلِيَّةِ:

* التَّبَرُّ فِي آيَاتِ اللَّهِ الْكَوْنِيَّةِ: انْظُرُوا حَوْلَكُمْ فِي الْكَوْنِ. مَنْ صَنَعَ هَذَا الْكَوْنَ الْبَدِيعَ بِدِقَّتِهِ وَنِظَامِهِ؟ مَنْ جَعَلَ الشَّمْسَ شُرُقًّا وَتَغْرُبًّا فِي مَوْعِدِهَا؟ مَنْ جَعَلَ الْمَطَرَ يَنْزِلُ فِيْخِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا؟ إِنَّهَا آيَاتٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ، فَتَأَمَّلُوهَا.

* قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ وَتَدْبُرُهُ: الْقُرْآنُ هُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الثُّورُ الَّذِي يُبَدِّدُ الظُّلُمَاتِ. فَاجْعَلْ لَكَ وَرْدًا يَوْمِيًّا مِنَ الْقُرْآنِ، وَلَا تَقْرَأْهُ قِرَاءَةً سَطْحِيَّةً، بَلْ قِرَاءَةً مُتَفَكِّرًا مُتَدَبِّرًا لِمَعَانِيهِ.

* الْقِرَاءَةُ فِي السِّيَرَةِ النَّبِيَّيَّةِ: اقْرَأُوا عَنْ حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَضْحِيَّاتِهِ، وَسِيرَةِ الصَّحَابَةِ، وَكَيْفَ أَنَّهُمْ لَمْ يَهْتَرُوا أَمَامَ أَشَدِ الْفِتْنَ. فَسِيرَتُهُمْ تَقْوِيَ الْيَقِينَ فِي الْقَلْبِ.

* الْلُّجُوعُ إِلَى اللَّهِ بِالدُّعَاءِ: إِذَا شَعَرْتَ بِشُبْهَةٍ، أَوْ حَيْرَةٍ، فَأَسْرِعْ إِلَى اللَّهِ بِالدُّعَاءِ. وَتَذَكَّرْ دُعَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَاصِبَ الدُّنْيَا".

الْعَنْصُرُ الْخَامِسُ: دَعْوَةُ لِلْعَمَلِ وَالْيَقِينِ

أَيُّهَا السَّادَةُ الْكِرَامُ

لَا تَنْقَصِ الْفِكْرَةُ عَنِ الْعَمَلِ. فَالْيَقِينُ لَيْسَ مُجَرَّدَ كَلِمَاتٍ تُقَالُ، بَلْ هُوَ حَالَةٌ تُعَاشُ.

* لِلشَّابِ وَالشَّابَاتِ: كُونُوا عَلَى حَدِّ مِنْ مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ الْهَدَامَةِ. وَلَا تَقْبِلُوا الشُّبُهَاتِ قَبْلَ الْبَحْثِ عَنْ إِجَابَتِهَا. وَاجْعَلُوا مِنَ الْعِلْمِ سِلَاحًا لِرَدِّ عَلَى هَذِهِ الشُّبُهَاتِ. وَتَذَكَّرُوا أَنَّ الْعِلْمَ لَا يُنَالُ بِرَاحَةِ الْجَسِدِ.

* لِلْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ: إِنَّكُمْ أَوْلُ الْمُرْبِّينَ لِأَبْنَائِكُمْ. لَا تَتَرُكُوا أَبْنَاءَكُمْ فَرِيسَةً لِأَفْكَارِ الْإِلْحَادِ وَالشَّكِّ، بَلْ عَلِمُوهُمُ الْيَقِينَ مُنْذُ الصِّغْرِ، وَاحْتَارُوا لَهُمُ الْمَدَارِسَ الصَّالِحةَ وَالْمُعَلَّمِينَ الْمُخْلِصِينَ.

* لِلْدُّعَاءِ وَالْأَئِمَّةِ: إِنَّ الْوَقْتَ قَدْ حَانَ لِنَنْزِلِ مِنْ مَنَابِرِ الْخَطَابَةِ إِلَى قُلُوبِ النَّاسِ. لِلْحَاوِرِ الشَّبَابِ بِرْفَقٍ، وَنُحِيبَ عَلَى أَسْئَلَتِهِمْ بِحِكْمَةٍ، وَنَكُونَ قُدوَّةً لَهُمْ بِأَخْلَاقِنَا وَأَفْعَالِنَا.

فَلَنَتَّقِ اللهُ، وَلَنْكُنْ مِنْ أَهْلِ الْيَقِينِ، الَّذِينَ لَا يَخَافُونَ إِلَّا اللهُ، وَلَا يَرْجُونَ إِلَّا فَضْلَهُ. نَسَأِلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُبَارِكَ لَنَا فِي إِيمَانِنَا، وَأَنْ يَجْعَلَ الْيَقِينَ قُوَّةً فِي قُلُوبِنَا، وَنُورًا فِي دُرُونِنَا. اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شُبُهَاتِ الْإِلْحَادِ، وَمِنْ فَتْنَ الدُّنْيَا. اللَّهُمَّ أَرِنَا الْحَقَّ حَقًا وَارْزُقْنَا اِتَّبَاعَهُ، وَأَرِنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَارْزُقْنَا اِجْتِنَابَهُ.

أَفْوُلُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.